﴿وَقَالَ لِفِتۡيَٰنِهِ ٱجۡعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ فِي رِحَالِهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَعۡرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ٦٢﴾ [يوسف: 62]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

التَّنويعُ في السُّبُلِ المحقّقةِ لغايةِ أن يَعودَ إخوتُه بأخيهم في مرّةٍ قادمةٍ

كان يوسفُ ﷺ حريصًا على قدوم إخوتِه المرّةَ القادمةَ ومعهم أخوهم لأبيهم - كما شرطَ عليهم - وحيث كان في خطابه معهم الخاصِّ بعودتهم بأخيهم مُرغِّبًا ومُرهِّبًا - كما مضى بيانُه - إلّا أنّه كان في الجانب التّرغيبيّ أوضحَ، حيث قدَّم لهم البيّناتِ العمليّةَ الدّالّةَ على ما يُرغِّبُهم فيه، كإيفاء الكيْلِ وحسنِ الإنزال، فلا جَرَم بعد ذلك أن أضاف إلى رغائبِه رغيبةً أخرى، وإلى كرمِه معهم كرمًا جديدًا، وذلك أنّه أمر عُمّالَه وغِلمانَه أن يضَعوا لهم في رحالِهم - دونَ علمهم - بضاعتَهم الّتي جاؤوا بها معهم ليعاوضوها بالميرّة، ليُفاجَأوا بها عند عودتِهم إذا فتحوا متاعَهم، فيزيدَهم ذلك فرحًا وطُمأنينةً إلى كرم يوسفَ ﷺ، كما يزيدُهم حرصًا على العودةِ إليه بأخيهم، وأيضًا يُضيفُ إليهم حُجّةً جديدةً تُساعدُهم في إقناع أبيهم ﷺ، حتّى يرسلَ معهم أخاهم فقال كما أنبأتْ به الآية: ﴿وَقَالَ لِفِتۡيَٰنِهِ ٱجۡعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ فِي رِحَالِهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَعۡرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿لِفِتۡيَٰنِهِ﴾: جمعُ فتًى، وهو الشّابُّ، والفتى: السَّخيُّ الكريمُ[1]، "يُقال للشّابّ: فتًى: والجميع: فِتيان، والقليل: فِتية، والفُتوّةُ: الإفراطُ في الظّرَفِ يُقال منه مُتَفَتٍّ، ومُتَفَتِّيَة، والفتى: الشّابُّ من النّاس، والبهائمِ، قال الشّاعر:

(1) الجوهريّ، الصّحاح: (فتى).

إِذَا بَلَغَ الفَتَى مِائَتَيْنِ عَامًا *** فَقَدْ ذَهَبَ اللَّذَاذَةُ والفَتَاءُ[1]

والفتى هنا بمعنى: العبدِ المملوكِ[2]، ومعنى ﴿لِفِتۡيَٰنِهِ﴾، هنا المماليكُ[3]؛ وهم غِلْمانُ يوسفَ عليه السلام[4].

2) ﴿بِضَٰعَتَهُمۡ﴾: البِضاعةُ: كُلُّ ما أُعِدَّ للبيعِ كائنًا ما كانَ[5]، واستبضعتُ الشَّيءَ: جعلتَه بِضاعةً[6]، والبضاعةُ: المالُ[7]، ومعنى ﴿بِضَٰعَتَهُمۡ﴾ هنا: مالُهم الّذي دفعوه ثمنًا للحِنْطة الّتي اشتروها[8].

3) ﴿رِحَالِهِمۡ﴾: جمعُ رَحْلٍ، وجَذرُ مادَّتِه (رحل)، وهو أصلٌ يدلُّ على مُضيٍّ في سَفَرٍ، يُقالُ: رَحَلَ يَرْحَلُ رِحْلَةً، ورَحْلُ الرَّجُلِ: مَنْزِلُهُ ومأواهُ، لأنَّ ذلكَ إنَّما يُقالُ في السَّفرِ لأسبابِه الّتي إذا سافرَ كانت معه، يَرْتحلُ بها وإليها عند النُّزولِ[9]. والرَّحْلُ: رَحْلُ البعيرِ، وهو أصغرُ منَ القَتَبِ، والجمعُ: الرِّحال[10]، والمعنى المحوريُّ الّذي يدورُ عليه (رَحَل)، وما يُشْتَقُّ منه: الانتقالُ أوِ السّفرُ إلى مكانٍ بعيدٍ ركوبًا، وسَمَّوْا ما يُجَهَّزُ به البعير كالبرذعةِ ليُرْكَبَ عليه ومعه كلُّ ما يُلْحَقُ بهِ من متاعِ الرّاكبِ وزادِه: رَحْلًا، ومنَ الرَّحْلِ الَّذي هو متاعُ الرّاكب، والَّذي يُوضَعُ على ظَهْرِ البعيرِ، ﴿جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِي رَحۡلِ أَخِيهِ﴾ [يوسف: 70][11]، ومعنى ﴿رِحَالِهِمۡ﴾ هنا: أوْعِيَتُهم[12].

4) ﴿ٱنقَلَبُوٓاْ﴾: فعلٌ ماضٍ مُسندٌ لواو الجماعةِ، مجرَّدُه: (انقلبَ)، وجَذرُ مادَّتِه: (قلب)، وهو أصلٌ يدلُّ على ردِّ شيءٍ من جِهَةٍ إلى جِهَةٍ، ومنه: قلبتُ الثَّوبَ قَلبًا، وقلبتُ

(1) الحربيّ، غريب الحديث: (فت).
(2) ابن الجوزيّ، زاد المسير: 2/434.
(3) الزَّجّاج، معاني القرآن: 3/117.
(4) ابن جرير، جامع البيان: 16/156.
(5) الخليل، العين: (بضع).
(6) ابن فارس، مُجمل اللّغة: (بضع).
(7) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (بضع).
(8) ابن جرير، جامع البيان: 16/157، والزّجّاج، معاني القرآن: 3/117، والبغويّ، معالم التّنزيل: 4/255.
(9) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (رحل).
(10) الجوهريّ، الصّحاح: (رحل).
(11) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (رحل).
(12) البغويّ، معالم التّنزيل: 4/255.

الشَّيءَ: كَبَبْتُه[1]، وقلبَ الشَّيءَ قَلْبًا: حَوَّلهُ عن وجهِه، وقلبَ المعلِّمُ الصّبيانَ: صَرَفَهم إلى بيوتِهم[2]، وانقلبَ: رَجَعَ[3]، ومعنى: ﴿ٱنقَلَبُوٓاْ﴾ هنا: انصرفُوا ورجعُوا[4].

5) ﴿أَهۡلِهِمۡ﴾: أهلُ الرَّجُلِ: أخَصُّ النّاسِ به[5]، وهُم مَنْ يَجْمَعُهُ وإيّاهُم نَسَبٌ أو دِيْنٌ، أو ما يَجري مَجراهما من صناعةٍ وبيتٍ وبلدٍ، وأهلُ الرَّجُلِ في الأصلِ: مَنْ يَجْمَعُهُ وإيّاهم مَسكنٌ واحدٌ، ثُمَّ تُجوِّزَ بهِ فقيل: أهلُ الرَّجُلِ لِمَنْ يَجْمَعُهُ وإيّاهم نَسَبٌ[6].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

قال يوسفُ عليه السلام لِغِلمانِه ومَماليكِه: رُدّوا بضاعةَ بني يعقوبَ إليهم حتَّى يعرفوا عِنْدَ عودتِهم أنَّنا لم نَبْتَعْها منهم، فلا يُخلفونَ الوعدَ في الرُّجوعِ، إذا وَجَدوا في رحالِهم ثمنَ طعامٍ قد قبضوهُ وملَكهُ عليهم غيرُهم، عوضًا من طعامِه، ويتحرَّجوا منْ إمساكِهم ثمنَ طعامٍ قد قَبَضوه حتَّى يؤدّوه على صاحبِه، فيكونُ ذلك أدْعى لهم إلى العَوْدِ إليه، بل هذا يُجْبِرُهم على الرُّجوعِ ثانيةً ومعهم أخوهم؛ ليُثبتوا ليوسفَ صِدْقَهم، ويقبلَ منهم بضاعتَهم[7].

ذَكـاءُ يـوسُـفَ، عليه السلام في اسْتِدراجِ إخْـوَتِـهِ للعـودةِ بأخيهِ إليه

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

دَلالةُ الواوِ: ﴿وَقَالَ﴾:

الواو في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لِفِتۡيَٰنِهِ﴾ استئنافيّةٌ[8]، والجملةُ بعدها مُستأنَفةٌ، وما تحويه هذه الجملةُ هو كلامٌ مُستأنَفٌ جديدٌ،

أُسْلوبُ الأنبياءِ الـدّعـويُّ قائمٌ عـلى الـتّرغـيـب بـــالإكـــرامِ والحُسْنى

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (قلب).
(2) الزّمخشريّ، أساس البلاغة: (قلب).
(3) الحميريّ، شمس العلوم: (قلب).
(4) البغويّ، معالم التّنزيل: 4/255.
(5) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (أهل).
(6) الراغب، المفردات: (أهل).
(7) ابن جرير، جامع البيان: 16/158، وجماعة من العلماء، المختصر في تفسير القرآن الكريم، ص: 242.
(8) الخطيب وآخران، التّفصيل: 7/20، وصافي، الجدول: 13/18.

يأتي في سياق ما قدّمَه إليهم من مظاهر التّرغيب والإكرام، فكان منه أن أمرَ فتيانَه أن يُعيدوا إليهم بضاعتهم الّتي جاؤوا بها من بلادهم، فيجعَلوها في رحالهم، فتكونَ من جملةِ إكرامِه لهم.

معنَى اللّام في: ﴿لِفِتْيَٰنِهِ﴾:

تَحديدُ الجِهةِ المُنفِّذةِ لأمرِ يوسفَ عليه السلام، وحرصُه الشّخصيُّ على المتابَعةِ

اللّام في قوله تعالى: ﴿لِفِتْيَٰنِهِ﴾، هي لامُ التّبليغِ الّتي تلحقُ باسْمِ السّامعِ أو ضميرِه، كالّتي في قولك: قلتُ لزيدٍ. أو: قلتُ له، قولُه ﷻ: ﴿وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ﴾: "وهم غلمانُه وأتباعُه، اجْعَلُوا بِضاعَتَهُمْ في رِحالِهِمْ، أراد بالبضاعةِ ثمنَ الطّعامِ الّذي أعطوه ليوسفَ وكانت دراهمَ. وحكى الضّحاكُ عن ابنِ عبّاسٍ أنّها كانتِ النّعالَ والأدمَ والرّحالَ.. وهي الأوعيةُ الّتي يُحملُ فيها الطّعامُ وغيرُه"[1].

بَلاغةُ تَوجيهِ القراءاتِ القرآنيّةِ في: ﴿لِفِتْيَٰنِهِ﴾:

تَوجيهُ القراءةِ الوجيهُ يُوافقُ البيانَ العربيَّ الفصيحَ

قرأ حمزةُ والكسائيُّ وحفصٌ: ﴿لِفِتْيَٰنِهِ﴾، والباقون: ﴿لِفِتْيَتِهِ﴾[2]، وهو على القراءتيْن جمعُ (فتى) كإخوة وإخوان في (أخ)، غيرَ أنَ (فِعْلَة) للقلّة (وفِعْلانًا) للكثرة، وقد جرتِ العادةُ للملوك أن يأمروا غلمانَهم وعبيدَهم بالأمر، وإن لم يتولَّ ذلك جميعُهم[3].

دَلالةُ الأمْرِ في: ﴿ٱجْعَلُوا۟﴾:

لم يُقيِّدْ يوسفُ عليه السلام فِتْيانَه بطريقةٍ مُحدّدةٍ لوضْعِ البضاعةِ في رحالِ إخوتِه

هذا أمرٌ إلزاميٌّ وُجوبيٌّ وجّهه يوسفُ عليه السلام لفتيانِه، والقصدُ منه أن يَتصنّعوا بأيِّ وجهٍ منَ الوجوه يختارونَه، لوضْعِ البضاعةِ في رحالِهم، ولم يُحدّدْ لهم طريقةً مُعيَّنةً، ولذا اختار الفعلَ (جعل)، وهو لفظٌ عامٌّ في الأفعال كلِّها، وهو أعمُّ من (فَعَلَ) و(صَنَعَ) وسائرِ أخواتِها[4].

---

(1) الخازن، لباب التّأويل: 2/539.

(2) السّمين الحلبيّ، الدُّرُّ المصون: 6/517.

(3) الهمذانيّ، الكتاب الفريد: 3/604، والعُكْبريّ، التّبيان: 2/736، والسّمين الحلبي، الدُّرُّ المصون: 6/517.

(4) الرّاغب، المفردات: (جعل).

نُكتةُ إضافةِ البِضاعةِ والرّحالِ إلى ضَميرِهم:

ردُّ بِضاعَتِهم في رحالِهم فَيْضٌ من كرمِ يوسفَ الصّديقِ ووصلٌ لرَحِمِه الوثيقِ

الإضافةُ إلى ضميرِهم في قوله: ﴿بِضَٰعَتَهُمۡ﴾ وقولِه: ﴿رِحَالِهِمۡ﴾ هي إضافةُ تخْصيصٍ، وإنَّما فعلَه ﷺ تفضُّلًا عليهم وخوفًا من أن لا يكونَ عند أبيه ما يَرجعون به مرّةً أخرى لَعَلَّهُمۡ يَعۡرِفُونَهَآ؛ أيْ: يَعرفون حقَّ ردِّها، وحقَّ التّكرّم بإعطاءِ البدلَيْن، إذَا انْقَلَبُوا أيْ رجعوا إلى أَهْلِهِمۡ، وفتحوا أوعيتَهم، فالمعرفةُ مقيّدةٌ بالرّجوعِ وتفريغِ الأوعيةِ"[1].

معنَى الظّرفيّةِ في: ﴿فِي رِحَالِهِمۡ﴾ في السّياقِ:

وَضَعَ البضائعَ بشكلٍ مُسْتَتِرٍ في الرِّحالِ كي يَعودوا مرّةً أخرى

والتّعبيرُ بـ ﴿فِي﴾ الدّالّةِ على الظّرفيّةِ يُفيدُ أن يَجعَلوا بضاعتَهم في مكانٍ عميقٍ داخلَ رِحالهم بحيث لا يَكتشفونَها إلّا عندما يَنقلبون إلى أهلهم ويَفضّون رحالَهم لتتحقّقَ المفاجأةُ بوجودها، وقد "فعل يوسفُ ﷺ ذلك، تفضُّلًا عليهم، وقيل: ليَستَعينوا بها على الرّجوعِ إليه سريعًا لشراء الطّعام، وقيل: ليَرجعوا إليه مرّةً أخرى لعلْمِه أنّهم لا يقبَلون الطّعامَ إلّا بثمنٍ، قاله الفرّاءُ"[2].

معنَى (لعلّ) في السّياقِ:

السّياقُ مَبْنيٌّ على رجاءِ يوسفَ التئامَ شمْلِه بالتحاقِ أخيه به

قولُه تعالى: ﴿لَعَلَّهُمۡ يَعۡرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾، (لعلّ) حرفٌ ناسخٌ من أخوات (إنّ) يفيدُ التّرجّيَ، وتحقيقًا للرّجاء المَسوقِ في هذه الآية أَمَر يوسفُ ﷺ فتيانَه أن اجْعَلُوا بِضاعَتَهُمۡ في أوعيتِهم الّتي يَحملون فيها أشياءَهم؛ لأنّ ديانتَهم وأمانتَهم تَحملُهم على ردِّها، فيحصلُ المطلوبُ من قصْدِ حضورِهم بأخيهم[3].

نُكتةُ التّعبيرِ عن إكرامِه لهم بـ ﴿يَعۡرِفُونَهَآ﴾:

المعرفةُ أخصُّ منَ العلمِ، فهي إدراكُ عينِ الشّيءِ والتّحقُّقُ به

المعرفةُ تعني إدراكَ الشّيء بتفكُّرٍ وتدبُّرٍ لأثرِه، وهي أخصُّ منَ العلمِ[4]، والقصدُ بالمعرفة هنا أن يُدركوا أنّها عينُ بضاعتِهم، فإن

(1) حقّي، روح البيان: 4/288.
(2) القِنّوجيّ، فتحُ البيان: 6/363.
(3) العاني، بيان المعاني: 3/233.
(4) الرّاغب، المفردات: (عرف).

كانت دراهمَهم فستكونُ مسكوكةً سكّةَ بلادِهم، أو بالصُّررِ الّتي كانت مصرورةً فيها، وأن يُدركوا أنّها وُضعتْ هنالك قصْدًا عطيّةً من عزيز مصرَ[1].

وإن كانت بضاعةً عينيّةً، كأن تكونَ صُوفًا أو وَبَرًا أو شيئًا غُزلَ منهما، لأنّهم كانوا أهلَ رعْيٍ، فالقصدُ أيضًا أن يعرفوا أنّها عينُ بضاعتِهم الّتي اجتلَبوها معهم. وفائدةُ أن يُدركوا أنَّ ما دُسَّ في رحالِهم هو عينُ بضاعتِهم، وأنّه ﷺ أراد إكرامَهم، والأظهرُ أنّه ﷺ قد عوَّض عن ذلك الإكرام من ماله الخاصِّ ما يُعادلُ ميرَتَهم، فيَبعدُ أن يكونَ ﷺ – وهو الأمينُ – قد حمَّل المالَ العامَّ تكاليفَ إكرامِهم.

عَوْدُ الضّميرِ في ﴿يَعْرِفُونَهَآ﴾ في السّياقِ:

الضّميرُ في قوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَهَآ﴾ يعودُ إلى البضاعة، فيعرفونها ويعرفون سببَ وضْعِها في رحالهم، ويَقصدُ بـ ﴿لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ﴾؛ أيْ: يعرفون حقَّ ردّها، وحقَّ التّكرّم بإعطاء البدلَيْن ﴿إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ﴾ وفرّغوا ظروفَهم، لعلّ معرفتَهم بذلك تَدعوهم إلى الرّجوعِ إلينا، أو لعلّهم يردُّونَها[2].

نُكتةُ التّعبيرِ بـ ﴿إِذَا﴾ ومعناها في السّياقِ:

عبَّر بـ ﴿إِذَا﴾؛ لأنّها ظرفٌ لما يُستقبلُ منَ الزّمان، وهي تفيدُ التّحقّقَ؛ لأنّهم سيفتَحون متاعَهم حتْمًا وسيعرِفون أنّ بضاعتَهم رُدَّت إليهم، وجملةُ ﴿إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ﴾ معناها هنا: وصَلوا، والرّحالُ: جمعُ رَحْل؛ وهي ركائبُهم، رجاءَ أن يعرفوها، ورجاءَ أن يرجِعوا إلينا بما وعَدوا به. ونرى هنا أنّ يوسفَ الّذي كان رفيقًا بأهل مصرَ، كان رفيقًا أيضًا بإخوتِه وأبيه، فلم يُؤخّرْ عنهمُ الميرةَ، بل عجّلَها لهم، وإنْ أوهمَهم أنّه يؤجّلُها حتّى يعودوا إليه مع أخيه"[3].

ظَرْفُ الزّمانِ له أهمّيّةٌ في تَحديدِ الحوادثِ وتَبْريزِ المَشاهِدِ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 13/15.
(2) الأبياريّ، الموسوعة القرآنيّة: 10/136.
(3) أبوزهرة، زهرة التّفاسير: 7/3837.

نُكتةُ التَّعْبيرِ عنِ العَوْدِ بالانْقلابِ:

الانقلابُ هو الانصرافُ إلى جهةٍ ما، والتّحوّلُ من وجهٍ إلى وجهٍ، كقلْبِ الثّوبِ[1] بما يُبيّنُ أنَّ المعنى في لفظ الانقلابِ هو نقطةُ الانطلاقِ؛ أيْ: الّتي ينطلِقون منها؛ أيْ: الانقلابُ من مصرَ إلى بلادهم. وقد يدلُّ لفظُ الانقلابِ أيضًا على تبدُّلِ الحالِ، فيكونُ مجازًا في ذلك[2]، وذلك أنّهم ذهبوا إلى مصرَ، في ثياب الحاجةِ والعَوَزِ، والطّمع والرّجاءِ، فانقلبوا منها بالميرَة والاطْمئنانِ إلى العودةِ إليها مرّاتٍ أخرى للتّزوُّد، لو أنّ أباهم انصاعَ لهم ورضيَ بأن يُرسلَ معهم أخاهم.

الانقلابُ يُطلقُ حِسًّا على التّوجُّهِ إلى مكانٍ، ومعنًى على تبدُّلِ الحالِ

نُكتةُ تَكرارِ ذكْرِ (لعلّ)، في السّياقِ:

كرّرَ (لعلّ) لتغايُرِ المَرجوِّ، فـ (لعلّ) الأولى متّجهةٌ إلى رجاء معرفةِ البضاعةِ، ﴿لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ﴾، وأمّا (لعلّ) الثّانيةُ فمتّجهةٌ إلى رجاء عودتِهم ورجوعِهم، ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

تَكرارُ (لعلّ) سببُه تعدُّدُ المَرْجُوِّ

وقيل: التّرجّي الثّاني سببٌ على الأوّل، فيكونُ المعنَى: لعلّ معرفتَهم ذلك، تكونُ سببًا إلى رجوعهم مع أخيهم[3].

دَلالةُ التّعبيرِ بـ ﴿يَرْجِعُونَ﴾ مادةً وصياغةً:

الرُّجوعُ هو العودُ إلى ما كان منه البدءُ[4]، والتّعبيرُ بالرّجوع في حديثِه ﷺ ملحوظٌ نُقطةِ البدءِ – وهي مصرُ – في كلامه؛ أيْ: يرجعون إلى مصرَ، وعبَّر بالمضارع لدلالتِه على الاستقبالِ والتّكرار، فالظّاهرُ أنّهم كانوا قدِ انْتَوَوا أن يعودوا إلى مصرَ مرارًا للامتيار، فدبَّرَ لهم يوسفُ ﷺ ما يُشجّعُهم على هذا الرّجوع بما قدّمَه لهم من إيفاءٍ للكيل، وإكرامِ النّزلِ، وردِّ البضاعة.

عبّرَ بالمضارعِ لدَلالتِه على الاستقبالِ والتّكرارِ

(1) الرّاغب، المفردات، وابن فارس، مقاييس اللّغة: (قلب).
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 4/113.
(3) القونويّ، حاشيته على تفسير البيضاويّ: 10/369.
(4) الرّاغب، المفردات: (رجع).

وقد يكونُ طمعُه ﷺ في رجوعهم، لِثقتِه أنّهم لن يَقبَلوا أن يأخذوا المتاعَ والبضاعةَ معًا، إذا ظنّوا أن بضاعتَهم وُضعتْ في رحالهم على سبيل الخطأ، فهم أبناءُ نبيٍّ، ولن يَقبلوا أبدًا مالًا حَرامًا، أو أن يكونوا قد عرَفوا القصْدَ لكنّهم سيرجِعون "لردّها تورُّعًا، أو للميرَة بها إن لم يكن عندهم غيرُها، أو طمعًا في مثل هذا"[1].

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

البِضاعةُ والمتاعُ:

البِضاعةُ: قطعةٌ وافرةٌ منَ المال تُقتنى للتّجارة، يُقال: أبْضَعَ بِضاعَةً وابْتَضَعَها. قال تعالى: ﴿هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا﴾ [يوسف: 65]، وقال تعالى: ﴿بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ﴾ [يوسف: 88]، والأصلُ في هذه الكلمة: البَضْعُ وهو جملةٌ منَ اللّحم تُبْضَعُ؛ أيْ: تُقطعُ[2].

البِضاعةُ ما يُقتَنَى منَ المال للتّجارةِ، والمتاعُ ما يُحقّقُ لَذّةً مؤقّتةً

المَتاعُ: النَّفْعُ الَّذي تُتعجّلُ به اللَّذّةُ، وذلك إمّا لوُجود اللَّذّةِ وإمّا بِما يكونُ معه اللَّذّةُ نَحْوَ المالِ الجَليلِ والملكِ النَّفيس[3]، وأصلُ المَتاع والمُتعةِ ما يُنْتَفعُ به انتفاعًا قَليلًا غيرَ باقٍ، بل يَنْقَضي عن قريبٍ، ويشملُ كلَّ ما حصلَ به التَّمَتُّعُ والانْتِفاعُ به على وجهٍ ما منَ الوجوه. ويقعُ عُرْفًا على ما يلْبسهُ النّاس ويبسطونه، والثّياب والقميص والبُسُط والسُّتور والفراش[4] ويدخل فيه المِيرَة والطّعام وغيره ممّا ينتفع به ويزول ولا يبقى، فكلّ ذلك يُسمّى متاعًا.

وبهذا يظهرُ لنا سرُّ تسميةِ ما اجْتلَبه إخوةُ يوسفَ معهم بالبضاعةِ؛ لأنّه مالُ التّجارة، وتسمية ما أخذوه من مصرَ (متاعًا)، لكونِه يُحقّقُ حاجةً عاجلةً، ومنفعةً ستَنتهي وهو الميرة الّتي حمَلوها من مصرَ.

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 10/152.
(2) الرّاغب، المفردات: (بضع).
(3) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 196.
(4) الكفويّ، الكليّات، ص: 804.

الرّجوعُ والانقلابُ والعَوْدُ:

الرّجوعُ أوسعُ معنًى من كلٍّ من الانقلابِ والعَوْدِ

الانقلابُ: الانصرافُ، وهو مأخوذٌ من قَلْبِ الشّيء بمعنى تصريفِه وصرْفِه عن وجهٍ إلى وجهٍ؛ لأنّ معناه الانصرافُ والتّحوُّلُ من وجهٍ إلى وجهٍ، كقلْبِ الثّوبِ[1] بما يَعني الانطلاقَ من نقطةٍ ما اتّجاهًا إلى مكانٍ ما، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ٣١﴾ [المطففين: 31].

ويُطلقُ الانقلابُ أيضًا على تبدُّل الحالِ، فيكونُ مجازًا في ذلك[2]، ومن ذلك قولُه تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوۡ قُتِلَ ٱنقَلَبۡتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡۚ وَمَن يَنقَلِبۡ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۗ﴾ [آل عمران: 144].

أمّا الرّجوعُ فهو المصيرُ إلى الموضعِ الّذي قد كان فيه قبْلُ، وبهذا يفترقُ عنِ الانقلابِ الّذي يعني المصيرَ إلى نقيضِ ما كان فيه – المنقلب – قبلُ. ويُوضِّحُ ذلك قولُك: انقلب الطّينُ خزفًا، فأمّا رجوعُه خزفًا فلا يصحُّ؛ لأنّه لم يكن قبلُ خزفًا[3].

وأمّا الْعَوْدُ، فهو الرّجوعُ إلى الشّيء بعد الانصرافِ عنه إمّا انصرافًا – حسّيًّا – بالذّات كما يدلُّ له قولُه تعالى: ﴿رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا فَإِنۡ عُدۡنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ١٠٧﴾ [المؤمنون: 107]، أو كان – معنويًّا – بالقول والعزيمةِ، كما في قولِه تعالى: ﴿وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ﴾ [الأنعام: 28][4].

وعلى هذا، يظهرُ لنا أنّ الرّجوعَ يدلُّ على المصير إلى موضع الانطلاقِ الأوّل الّذي كان فيه الرّاجعُ، وأمّا الانقلابُ فهو التّوجّهُ من مكانٍ إلى مكانٍ آخر، فهو يُعنى بنقطة الانطلاق، وأنّ العوْدَ هو الرّجوعُ إلى المكان أو إلى الشّيء بعد الانصرافِ عنه.

(1) الرّاغب، المفردات، وابن فارس، مقاييس اللّغة: (قلب).
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 4/113.
(3) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 303.
(4) الرّاغب، المفردات: (عود).

وبذلك يكونُ التّعبيرُ بالانقلاب هو الأنسبُ، لانطلاق إخوةِ يوسفَ ﷺ من مصرَ إلى بلادهم، وأنّ التّعبيرَ بالرّجوع أنسبُ لعودتِهم إلى مصرَ، فهي دورةٌ كاملةٌ، انطلاقٌ من مصرَ إلى بلادهم، ثمّ عودٌ من بلادِهم إلى مصرَ.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث والعشرون، سورة يوسف من الآية 56 إلى سورة الرّعد الآية 15
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثالث والعشرون، سورة يوسف من الآية 56 إلى سورة الرّعد الآية 15
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 23 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-20-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 23 : المجلد الثالث والعشرون، سورة يوسف من الآية 56 إلى سورة الرّعد الآية 15.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-20-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-8086351 بتاريخ 2024/02/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»